

الاستشراف في الرواية العربية الجزائرية الحديثة:

رواية "جلالته الأب الأعظم" . للحبيب مونسي . أنموذجا

Foresight in the modern Algerian Arabic novel:

The novel “His Majesty, the Great Father” - by Habib Mounsi - as an example

*بونصيبة ماما

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، (الجزائر)، bounessabiamama@gmail.com

مخبر الدراسات اللغوية و الأدبية في الجزائر من العهد التركي حتى نهاية القرن العشرين

أ.د. المكروم سعيد

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، (الجزائر)، said.elmekroum@univ-mosta.dz

تاريخ النشر: 2024/12/27

تاريخ القبول: 2024/05/21

تاريخ الاستلام: 2023/12/28

ملخص:

غدت الرواية العربية الحديثة أرضا خصبة للمؤلفين لممارسة تخيلهم وتصورهم واستشراف المستقبل المحتمل، وذلك حسب رؤية كل كاتب وتطلعه لقادم الأيام. وانطلاقا من تنبؤاتهم هذه، سلطوا الضوء على جوانب عدة منها ما هو اجتماعي وسياسي وتكنولوجي وشخصي أيضا، مما لا يزال يتيح للقراء فهما أعمق للعالم من حولهم .

إذ إن إدماج الاستشراف في الرواية العربية الحديثة ولا سيما الجزائرية منها يهدف وبشكل كبير إلى إثراء المشهد الأدبي، ويحفز التفكير النقدي لدى القراء، كما أنه يلهب تفاعلهم مع هذه الروايات ويشجعهم على طرح المناقشات الهادفة، مما يفتح المجال واسعا أمام التفكير العميق في تغيير الحاضر وتبني الخيارات الممكنة التي تشكل المستقبل، حيث تعمل الرواية الجزائرية الحديثة مثل نظيراتها في الوطن العربي بمثابة بوصلة، ترشد القراء عبر تعقيدات عالمنا المتغير باستمرار، كما تقدم لهم لمحات إستباقية عما يمكن حدوثه مستقبلا.

وفي هذا الصدد تناولنا في بحثنا هذا دراسة الاستشراف في الرواية العربية الجزائرية الحديثة حيث اعتمدنا رواية "جلالته الأب الأعظم" كنموذج نستقرئ به براعة الكاتب في تكهن المستقبل وتصوره لما هو آت، وقدرته على تشجيع القراء على التفكير فيما وراء الوضع الراهن ودفعهم إلى اتخاذ خيارات أكثر استنارة في حياتهم الشخصية والجماعية.

كلمات مفتاحية: الاستشراف،، التنبؤ. الرواية العربية. المستقبل. استباق.

Abstract:

The modern Arabic novel has become a fertile ground for authors to exercise their imagination and envision the possible future according to each writer's vision and aspiration for the coming days. Based on these predictions, they shed light on several aspects, including social, political, technological, and personal aspects, which allowed and readers a deeper understanding of the world around them

The incorporation of foresight into modern Arabic novels, especially Algerian ones, largely aims to enrich the literary scene and stimulate critical thinking among readers. It also stimulates their interaction with these novels and encourages them to raise meaningful discussions, which opens a wide way for deep thinking about changing the present. It builds possible options that shape the future, as the modern Algerian novel, like its counterparts in the Arab world, acts as a compass, guiding readers through the complexities of our constantly changing world, and also providing them with proactive glimpses of what may happen in the future.

In this regard, we discussed in our research the study of foresight in the modern Arab-Algerian novel, where we adopted the novel “His Majesty the Great Father” as a model by which we extrapolate the writer's ingenuity in predicting the future and imagining what is coming Its ability to encourage readers to think beyond the status quo and push them to make more informed choices in their

Personal and collective lives.

Keywords: Foresight, Prediction, The Arab novel, The future, Anticipation.

*المؤلف المرسل: بونصية مامة، الإيميل: bounessabiamama@gmail.com

1. مقدمة:

لقد برزت الرواية العربية الحديثة كوسيلة قوية لاستكشاف تعقيدات التجارب الإنسانية، والتغيرات الاجتماعية، و التحديات التي يواجهها الأفراد والمجتمعات، ولتحقيق ذلك فقد أمعن الروائيون في التلاعب بالزمن الروائي استرجاعا للماضي و ترقبا للمستقبل مستثمرين في ذلك ولع الإنسان بالجهول وحب استطلاعها على الغيبيات، إذ تسترجع شخصيات رواياتهم أحداثا عايشتها سابقا لتبني عليها حاضرها الذي تعرفه، كما تستشرف القادم محاولة بلوغ حياة وجودية أليق بالإنسان، فترنو إلى تأسيس عوالم ممكنة من خلال رؤية استباقية تهدف الى سر أغوار المستقبل وما يخفيه قادم الأيام .

وانطلاقا من هذه الرؤية لمعت في الساحة الأدبية عدة روايات عربية حديثة استثمرت عنصر الاستشرف بعناية ملفتة، فتنوعت ما بين الخيال العلمي والعجائبي، وما بين استقراء الحاضر وتكهن القادم، وقدمت للقارئ فضاء رحبا للتفكير والتأمل، ونذكر من بين هذه الروايات: رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح، ورواية "فرانكشتاين في بغداد" لأحمد السعداوي، ورواية "رجل من القارة المفقودة" لطالب عمران، ورواية "ابن النجوم" لنهاد شريف و رواية "الكوكب الجنة" لصالح معاطي، وكذا رواية "جلالته الأب الأعظم" للروائي الجزائري "الحبيب مونسي" وغيرها، حيث لا تخلو هذه السرديات من عنصر الاستشرف والتنبؤ بمآل الإنسان ووجوده خارج الظروف التي كتبت فيها هذه النصوص.

وبما أن هذا المقال يهدف إلى استشفاف موضوع الاستشرف في الرواية العربية الجزائرية الحديثة بالتحديد، وبيان مدى مساهمتها في إثراء المشهد الأدبي وذلك من خلال براعتها في استكناه ما هو آت، فقد اعتمدنا رواية "جلالته الأب الأعظم" . الخطر الآتي من المستقبل. " للروائي الجزائري "الحبيب مونسي" كنموذج في بحثنا هذا، حيث تبادر إلينا لدى قراءتها عدة تساؤلات والتي من بينها: ما هي أهم تحليلات الاستشرف في هذه الرواية؟ وكيف يمكن أن يساعد الاستشرف المبتوثن بين ثناياها في دفع عجلة التغيير وصنع الحاضر و المستقبل؟ وإلى أي مدى برع الكاتب في جذب القارئ إلى تأمل عمق توقعاته وتصويره للاتجاهات والقضايا والناتج المحتملة للمستقبل؟ كما اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي التحليلي لتقصي تحليلات الاستشرف في هذه الرواية وتتبّع مدى عمق تنبؤات الروائي فيها.

وخلق بنا قبل الخوض في الإجابة على هذه التساؤلات، أن نقف على بعض المفاهيم التي وردت في تعريف لفظ " الاستشرف" لغة واصطلاحا وأهم ما أفاض به النقاد في بيان معناه.

2. مفهوم الاستشرف في الرواية العربية الحديثة:

لغة: ورد في لسان العرب « الشرف كل نشز من الأرض قد أشرف على ما حوله. وقد قال الجوهري الشرف هو العلو والمكان العالي»¹.

وقول « تشرف الشيء واستشرفه وضع يده على جبينه كالذي يستظل من الشمس حتى يبصره و يستبينه، و استشرف الشيء حقق نظره فيه واطلع إليه»²، هو أيضا التشرف للشيء أي «التطلع والنظر إليه وحديث النفس وتوقعه»³.

كما جاء في كتاب العين « المشرف المكان الذي تشرف عليه وتعلوه، والشرفة أعلى الشيء وهي التي تشرف بها القصور وجمعها شرف».⁴

اصطلاحاً: الاستشراف في الرواية العربية الحديثة هو قدرة المؤلف على استباق الأحداث قبل وقوعها، وبراعته في تصور التحولات الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية المحتملة واستكشاف آثارها فهو: «قفزة فوق المسلمات السائدة تكشفها رؤيا الأديب الفنان وترصدها قبل وقوعها لتكسب ضوءاً فوق جسد الأحداث والتحويلات»⁵ ، كما يمكن للكاتب أن يجسد ذلك أيضاً في بصيرة الشخصيات التي تمتلك نظرة ثاقبة للأحداث المستقبلية أو وعياً عميقاً لأوضاع مجتمعهم وتوقع ما ينتظرهم فهو: «اجتهاد منظم يرمي إلى صوغ مجموعة من التوقعات المشروطة التي تشمل المعالم الرئيسية لأوضاع مجتمع ما أو مجموعة من المجتمعات في فترة زمنية مقبلة».⁶

وحسب رأي مرشد أحمد فإن الاستشراف هو استباق خارجي للأحداث يهدف إلى معرفة لاحق مغيب تقدمته معطيات سابقة « هي مجموعة من الحوادث الروائية التي يحكيها السارد بهدف اطلاع المتلقي على ما سيحدث في المستقبل».⁷ وكثيراً ما يتصدر المطارحات النقدية أيضاً مصطلح "التنبؤ" ليدل على ترقب وتوقع المستقبل بدل مصطلح الاستشراف، إذ أن ذكر أحدهما يستدعي الثاني تلقائياً في تصور المتلقي، غير أن حضورهما معاً في سياق واحد يكشف عن فروقات دقيقة ومتعددة تفصلهما عن بعض، عدا عنصر واحد يشدهما إلى بعضهما وهو عنصر التوقع ليعودا بفضلها ويجتمعا مرة أخرى في ذهنية المتلقي. ويمكننا أن نوجز تعريفاً له فيما يلي:

لغة: جاء في لسان العرب عن كلمة نبأ: النبأ هو الخبر ، والجمع أنباء ، واستنبأ النبأ ببحث عنه⁸ . أما اصطلاحاً فقد عرف الراغب كلمة " النبأ" بقوله: « النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحق الخبر الذي يقال في نبأ أن يتعرى من الكذب كتواتر وخبر الله تعالى، و خبر النبي عليه الصلاة والسلام»⁹ ويعتبر التنبؤ عملية بناء التوقعات لما سيحدث في المستقبل وكثيراً ما اتصل بلفظ " الغيب" الذي هو « ما لا نعلمه في ادراكه على إحدى الحواس فلا يدخل في دائرته استنباط النتائج من مقدماتها و معرفة المسببات من أسبابها بطريق الاستدلال».¹⁰

ومن الجدير بالذكر أن هاذين المصطلحين - الاستشراف / التنبؤ - لا طالما اجتماعاً في علاقة وطيدة دائماً مبنية على توقع المستقبل، وترقب أحداثه والتطلع لكشف غموضه. و يلعب الاستشراف في السرديات العربية دوراً مهماً و محسوساً في تشكيل فهمنا للحاضر والمستقبل من خلال تقديم رؤى ورفع الوعي وتحفيز التفكير النقدي إذ أن السرد هو فن الزمن و« نوع من أنواع الرؤية الخاصة للزمن»¹¹ وهو المحدد الأساسي لشكل البنية الروائية « فالزمن يحدد إلى حد بعيد طبيعة الرواية ويشكلها، بل إن شكل البنية الزمنية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعالجة عنصر الزمن»¹² ، فإننا نورد فيما يلي بعض مظاهر هذا الاستشراف في رواية "جلالته الأب الأعظم . الخطر الآتي من المستقبل . " للروائي "الحبيب مونسي" كونها رواية جديدة بالملاحظة من حيث ملامستها الدقيقة لهذا المفهوم، إذ أن أحداثها تدور في زمن لاحق لم نصله بعد وهو عام 2099.

3. تجليات الاستشراف في رواية جلالته الأب الأعظم للحبيب مونسي:

تسمح لنا رواية " جلالته الأب الأعظم " للروائي الحبيب مونسي من ملامسة أحداث تاريخية لاحقة تهدد البشرية، توقعها الكاتب بناءً على تأملاته لحاضره و واقعه ليبنى عليها أحداثاً مرتقبة يمكن وقوع بعضها كنتيجة حتمية لما يحدث الآن من

تغيرات اجتماعية وتطورات تكنولوجية وغيرها من التحولات التي تجري في حاضرننا، ومن بين هذه الاستشرافات التي رصدتها لنا هذه الرواية نذكر ما يلي:

1.3 استشراف التغيرات الاجتماعية والسياسية:

كثيرا ما تعمقت الرواية العربية الحديثة في المشهد الاجتماعي والسياسي، بما يعكس التحديات والتحولات داخل المجتمعات العربية، هذه التغيرات الاجتماعية التي تحدث من جيل إلى جيل والتي «تحدث في التنظيم الاجتماعي، أي في بناء المجتمع ووظائف هذا البناء المتعددة والمختلفة... والتغير في القيم الاجتماعية، تلك القيم التي تؤثر بطريقة مباشرة في مضمون الأدوار الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي»¹³ وقد أظهر الروائي "الحبيب مونسي" في روايته بصيرة ملحوظة من خلال إشارته إلى عدة قضايا مثل الاضطرابات السياسية، و عدم المساواة الاجتماعية، والتحولات الثقافية ومآلاتها في المجتمع، حيث حاول ان يزود القراء بفهم دقيق للقوى المؤثرة والعواقب السلبية المحتملة لهذه التغيرات، « حلم راود مفكرين من عصور بعيدة..توحد يجعل الكرة الأرضية دولة واحدة تدين بفكرة واحدة، لا فرق فيها بين شعب وشعب، بين جنس وجنس»¹⁴ إذ توقع كنتيجة حتمية لتلك الاضطرابات والتحولات المفتعلة هو توحيد العالم في دولة واحدة يحكمها رجل واحد وهو الرجل المعجزة يعيش فيها فسادا كيفما يشاء.

2.3 التنبؤ بالتقدم التكنولوجي الخارق للعادة:

التكنولوجيا هي القوة الدافعة التي تشكل حاضرننا و مستقبلنا، و قد أضحت تقدمها المتسارع محسوسا لدى الجميع « وستستمر هذه الوتيرة في التسارع... فإن القرن الواحد والعشرين سيساوي تقدم عشرين ألف سنة من التقدم بوتيرة التقدم اليوم، أي حوالي ألف مرة أعظم من القرن العشرين»¹⁵ وقد ألمح إلينا الروائي إلى تأثير هذا التسارع على المجتمع والأفراد، سواء أكان الأمر يتعلق بتصوير عواقب عالم شديد الترابط، أو التكهن بمستقبل الواقع الافتراضي، ومن أمثلة ذلك قوله: «ضغط على زر المحرك فاهتزت السيارة هزة لطيفة، ثم اندفعت على الطريق تنهيه نهباً، وقد تولت قيادة نفسها بعدما حدد المسار والسرعة على شاشة صغيرة فوق المقود»¹⁶، وعلى شاكلة ذلك أيضا اختراع ما يسمى بالعقل الجبار: «هذا العقل الجبار أعجوبة من أعاجيب التقدم التكنولوجي الذي قدمته البشرية لنا وهي تلهث وراء كل جديد في سبيل اكتساب السيطرة التي تمكنها من إذلال الرقاب»¹⁷ حيث يقدم لنا تصورا إستباقيا مثيرا للتفكير والتمعن في الاتجاهات المحتملة التي قد تتخذها التكنولوجيا مستقبلا.

3.3 الاستشراف الشخصي و الوجودي:

لا يقتصر الاستشراف في الرواية العربية الحديثة على البعد المجتمعي أو التكنولوجي فقط، بل قد يتعداه إلى ملامسة الأبعاد الشخصية والوجودية، حيث « يعتقد الوجوديون أن الهرب من الطريق الوجودي في البحث، يعزلنا عن فهم ذاتنا فهما صحيحا»¹⁸ وذلك من خلال شخصيات الرواية، حيث حاول المؤلف في نص "جلالته الأب الأعظم" أن يقدم لنا لمحات عن مستقبل حياة الأفراد، وذلك بتسليطه الضوء على عواقب الاختيارات والعلاقات الشخصية، حيث يصور لنا في بعض مقاطعها المهانة التي وصلت إليها البشرية جراء إتباع الملذات والشهوات إذ يقول على لسان أحد شخصياته: « فلم أكن سوى حلقة في سلسلة الفجور، في سلسلة الدناءة، في سلسلة الرذيلة.. سلسلة تطوق البشرية اليوم، وقد بلغت عز تطورها، وتدلّت إلى حضيض التفاهة»¹⁹، وفي تأمل آخر يقول: «عجيب أمر الإنسان في لحظة ضعفه، يستطيع أن يتذكر كل خطاياها بدقة متناهية... فلو

راجع الإنسان نفسه يومياً، وكانت الإنسانية بخير، ولكن الغفلة رانت على القلوب، وأوصلتنا إلى ما نحن فيه الساعة²⁰»، وهي وسيلة مهد بها الطريق لغزو العالم منذ زمن «جلالته الأب الأعظم هو الرجل اليهودي الذي اختارته الحكومة العالمية السرية لتسيير أمور البشرية، بعد أن خططت طيلة عقود من الزمن، لذلك فمبعت القيم وقتلت المشاعر وأشاعت التطور التكنولوجي، وأشاعت بالمقابل الخلاعة والمخدرات، حتى تحول الإنسان إلى شيء أدنى من الآلة يعيش في عالم تنخره الحروب والدسائس»²¹ من خلال ما سبق حاول المؤلف أن يكشف لنا عن الحالة الإنسانية والاستبطان لكل إنسان عبر الزمن ومحاولته الدائمة والدؤوبة في البحث عن معنى حياته و وجوده.

4.3 التناسل الديني :

يقتبس الكاتب من القصص القرآني والتراث الإسلامي في روايته "جلالته الأب الأعظم" ما يستشرف منه أحداثاً يمكن أن تقع «... ثم أن رواية "جلالته الأب الأعظم" تتناسل مع القرآن الكريم بصورة عكسية فيحدث أن يحضر الأب إلى قصره فتى عربياً يدعى موسى، هذا الأخير الذي ستكون نهاية الدولة العالمية على يده، لأنه بعد أن تلقى المعارف والعلوم داخل قصره...»²² ، هذا الاقتباس يستوقفنا إلى القول أنه يمكن لوقوع أحداث في المستقبل يكون شبيه لها قد وقع في الماضي ما يطلق عليه الروائي على لسان الرجل المعجزة (التاريخ يعيد نفسه) في قوله : «... إنه التاريخ يعيد نفسه، و ليس لنا فيه دخل أو تحويل...»²³ وفي موضع آخر يتساءل : « هل يتكرر موسى النبي مع موسى العرب²⁴ » وكأن الكاتب يحاول أن يبين لنا أنه مهما حصل مستقبلاً فلكل زمن "موسى" مخلص.

4. كيف يساعد الاستشراف في رواية "جلالته الأب الأعظم" في التغيير و صنع الحاضر والمستقبل؟:

يمكن للاستشراف في رواية "جلالته الأب الأعظم" أن يلعب دوراً مهماً في تشكيل فهمنا للحاضر و المستقبل وذلك بعدة طرق:

1.4 الاستشراف الثقافي:

إن ثقافة كل مجتمع معرضة دائماً لمجموعة من التحولات التي تحدث في أي فرع من فروعها « فالتغير الثقافي عملية تحليل وتفكيك يتولد عنها كثير من العلل والانتكاسات التي هي الثمن الاجتماعي ... التغير الثقافي ينتج بصورة أساسية عن الاختراع أو التجديد سواء أكان اختراعاً مادياً أم اختراعاً اجتماعياً...»²⁵ هذا و غالباً ما تكون الرواية العربية الحديثة بمثابة انعكاس للمشاهد الثقافي في العالم العربي، حيث يُظهر المؤلفون البصيرة من خلال تصوير المعايير والتقاليد والقيم الثقافية المتطورة لمجتمعاتهم، وإذ ذاك فقد أراد الروائي "الحبيب مونسي" أن يكشف الغطاء عن الصراع القائم بين التقاليد و الحداثة، وتأثير العولمة على الهويات الثقافية، حيث يقول الرجل المعجزة: « وتبني اللعبة على قاعدة واحدة أساسها الكذب، وسيفها الإغراء والدعاية، فهي من هذه الوجهة سراب في سراب، وهي من ناحية أخرى سبيل من سبل الدمار تقدمه القوى المهيمنة ملفوفاً في غلاف ديبلوماسي يتقيد بروتوكولات لا تقدم ولا تؤخر في حتمية اللعبة المفروضة²⁶ » إذ يحاول الكاتب من خلال ذلك أن يوفر للقراء فهماً أعمق للتحولات الثقافية التي تحدث في العالم العربي ويلفت انتباهنا إلى ما يمكن أن تسببه من آثار محتملة في المستقبل.

2.4 الاستشراف التاريخي:

إن الاستشراف في الرواية العربية الحديثة يمتد أيضاً إلى الترقب التاريخي، حيث تقدم للقراء وجهات نظر جديدة حول الماضي مع تسليط الضوء على الحاضر والمستقبل وقد « كان ثوسيديديس يعتقد أن الاستشراف هو المهارة الأهم لدى الإنسان

عندما يريد اتخاذ القرارات المهمة، ويرتكز الاستشراف على حسن معرفة ما حصل في الماضي، لأن أحداثاً مماثلة يمكن أن تحصل في المستقبل²⁷»، يقول الروائي على لسان أحد شخصيات روايته التي تؤنب الرجل المعجزة «لقد أردت أن تستأثر بالعبودية من دون الله، نسيت أن الله قادر على الانتقام، لقد انتقم من أمثالك في العصور المتقدمة، لما أرادوا أن يستأثروا بالملك و الربوبية مثلك، ولكن الشعوب المسكينة دفعت الثمن، ثمن التشتت، ثمن الحرمان، ثمن الهوان²⁸» حيث استخدم المؤلف مهاراته في سرد أحداث روايته بطريقة ملفتة وذلك بتحليل مسارات تاريخية بديلة، كما تكهن عواقب لأحداث تاريخية محورية.

3.4 استشراف أبطال الرواية :

تتميز العديد من الروايات العربية الحديثة بأبطال يتمتعون بصفات مميزة كالحسد المرتفع ، إذ تتصف هذه الشخصيات برؤية ثاقبة، أو إدراك غير عادي، أو القدرة على التنبؤ بالأحداث المستقبلية. ومن هنا قدم لنا " الحبيب مونسي " شخصية الفتي "موسى" كشخصية يمكنها تقديم أوصاف غنية وحوارات داخلية متشعبة، مكنت القراء بالتفكير في هذه الحوارات على مستوى عاطفي وفكري أعمق، يقول "موسى" بعد تأمل عميق في جمال الخلق المحيط به: « ليس الخالق رجلاً مصلوباً ، بل الخالق هو الذي اكتفى بالأوصاف بالأسماء²⁹» ليصل إلى يقين أن هوان البشرية وتعاستها إنما مرده إلى بعد الإنسان عن خالقه « وأيقن موسى أن البحث عن إنسانية الإنسان لابد وأن تنطلق من الاقتناع بوجود ذلك الخالق و الأخذ عنه³⁰» يمكن لهذا التفكير أن يولد مناقشات مثيرة للجدل وتأثيراً يمتد مداه طويلاً عبر الزمن، باستشفاف موضوعات حساسة كالقدر ومعنى الوجود ، تدفع المناقشات هذه القراء إلى التفكير في الحدود بين الواقع و الخيال.

4.4. الاستشراف الجيوسياسي:

غالباً ما يتم استكشاف الحركات الجيوسياسية والصراعات الإقليمية في الرواية العربية الحديثة، إذ يُظهر المؤلفون براعتهم في استقراء المستقبل وذلك من خلال الخوض في التعقيدات السياسية، والعلاقات الدولية، وعواقب التحولات الجيوسياسية. ويعتمد الروائي في النص الذي بين أيدينا إلى تخيل ظهور مجتمع سري يفجر كل الأنظمة السياسية القائمة ليصنع نظاماً موحداً لكل العالم يحكمه الرجل المعجزة، «..الجمتمع السري الذي تأسس لتفجير التأزم العالمي، وإحلال الدولة العالمية المقدسة على أنقاضه³¹»، كما أسس معبداً رئيسياً يؤطر تعاليمها و يسن تشريعاتها «المعبد الرئيسي الذي تولى وضع التشريعات الجديدة للدولة العالمية وما عزلته عن العالم إلا ليكون المركز الذي تنطلق منه التعاليم³²» فمن خلال نسج هذه العناصر في روايته والتوقعات المحتملة، يقدم الكاتب للقراء قراءات مختلفة للسياقات التاريخية والاجتماعية والثقافية للعالم التي يمكن حدوثها في قادم الأيام.

5.4. الاستشراف و حدود التأمل:

غالباً ما تترك الروايات مجالاً واسعاً للتفكير والتأمل في سريان أحداثها، إذ يمكن للقراء التعامل مع النص بالسرعة التي تناسبهم، وإعادة قراءة المقاطع التي يريدون تأملها، والتفكير في الآثار المترتبة جراء هذه التنبؤات، حيث يمكن لهذه العملية التأملية أن تعزز لدى القارئ التفكير النقدي في الوضع الحالي، وذلك بدفعه إلى التشكيك في الهياكل الاجتماعية والسياسية والثقافية القائمة وتوجيه خياراته الجماعية، وكذا النظر في الآثار المترتبة على أفعاله في الوقت الحاضر، كما يمكن لهذه الأفكار أن تؤدي إلى فهم أعمق لمجتمعنا وإلهام الجهود لمعالجة القضايا وتشكيل مستقبل أفضل، يقول الروائي على لسان الرجل المعجزة وهو يصوغ قواعد مجتمع أراد أن يحكمه وأن يكون ملكاً عليه « إن مجتمعنا في حاجة الى هذه الطوائف ، طوائف خادمة، حاذقة في مهامها

التي خلقت لها كالنحل... والكل يخدم الملكة، ونحن أولى بالملك من غيرنا³³»، يمكن لهذا التأمل أن يلهب التفسير لدى القارئ ويحثه على البحث عن الأسباب الكامنة وراء الاتجاهات والأحداث المجتمعية وتداعياتها حاضرا ومستقبلا.

6.4. التقليد الأدبي و التأثير الثقافي:

تتمتع الروايات بتقاليد أدبية طويلة الأمد وأهمية ثقافية كبيرة، حيث غالبًا ما يُنظر إليها على أنها مصادر للجدارة الفكرية والفنية، ويمكن أن يمتد تأثيرها إلى ما هو أبعد من مجرد الترفيه، وفي نص "جلالته الأب الأعظم" أثار الروائي عدة نقاط التي من شأنها تشكيل المحادثات الثقافية التي تتولى التصدي للأفكار الثقافية الدخيلة على مجتمعتنا العربي... لذا كان لزاما علينا أن نبحث في تأثير العولمة وما تحمله من ثقافات عالمية في هذا المجال الحيوي لمجتمعاتنا العربية و الإسلامية والبحث في الآلية المناسبة للصمود في وجه التحديات الثقافية الدخيلة³⁴»، والتأثير على الخطاب العام، وإلهام أشكال أخرى من وسائل الإعلام، مثل الأفلام والمسلسلات المقتبسة، إذ يمكنها أن تصبح عملا أساسيا يترك إرثا دائما ويدوم لأجيال متعاقبة.

7.4. الوعي و ترقب المستقبل :

التوقعات في الروايات ترفع مستوى الوعي حول التحديات والفرص المستقبلية المحتملة، فهي تساعد القراء على توقع عواقب اتجاهات أو أحداث أو قرارات معينة، و ذلك من خلال استكشاف تداعيات التغيرات المجتمعية، أو التقدم التكنولوجي، وفي نص "جلالته الأب الأعظم" يزود الكاتب القراء بمنظور أوسع لما يحيط بهم ليتمكنهم مستقبلا من اتخاذ خيارات أكثر استنارة في حياتهم الشخصية و الجماعية، وقد استخدم الرجل المعجزة من البداية سلاحا فتاكا يطلع به على عقول الناس ويوسوس به لهم وهو (التخاطر النفسي) الذي استطاع أن يسيطر به على العقول ويؤسس عن طريقه دعائم دولته العالمية « إنه يستعمل معها سلاحا من أسلحته الخاصة التي دخل بها سائر عقول الناس، يوسوس لهم بما يريد، ويشاركهم في توجيه أفكارهم، بل يدفعها إلى الوجهة التي يريد³⁵ » .

8.4. الخطاب المجتمعي و الحث على التغيير:

يمكن للروايات العربية التي تتضمن الاستشراف أن تثير خطابًا مجتمعيًا مهمًا، إذ توفر منصة لمناقشة القضايا الملحة والمستقبلية المحتملة في سياق العالم العربي، ويمكن لمثل هذه المناقشات أن تعزز الحوار، وتشجع وجهات النظر المتنوعة، وتساهم في صياغة الإستراتيجيات والسياسات التي تعالج التحديات الحالية وتشكل المستقبل المنشود. كما يمكن للروائي الحث على التغيير وذلك من خلال تقديم شخصيات تتحدى الأعراف المجتمعية، وتدافع عن العدالة، وتعمل على تحقيق تغيير إيجابي، وفي النص الذي بين أيدينا تبرز شخصية "موسى" التي تجسد هذا التحدي، حيث يقول: «لا يهم من أكون، ولكني أبحث عن وسيلة أخلص بها البشرية مما هي فيه من هوان³⁶» حيث تصور الكاتب خلاص البشرية مستقبلا عن طريق اتخاذ الإجراءات اللازمة و توفير إمكانيات بديلة لصياغة مستقبل أفضل « سنعمد على تجنيد المنبذين في كل مكان، نجتمعهم، ننظمهم، استعدادا للانطلاقة الكبرى، ونقدم للبشرية على أشلائها خلاصها و حريتها³⁷»، تعتمد هذه الرواية على تقديم نماذج يحتذى بها وتشجع القراء على النظر في أدوارهم الخاصة في تشكيل مستقبلهم.

9.4. قوة الخيال و الابتكار:

للخيال قوة لا يستهان بها وهذا ما أثبتته التجربة الإنسانية منذ القدم، فكم من حقيقة نلمسها اليوم كانت في الماضي مجرد حلم أو خيال، وقد تفتن العلماء و صناع القرار إلى ضرورته في صنع الحاضر والمستقبل «علينا أن نتخيل أحداثا ممكنة في

المستقبل في حالة معينة، ثم نحاول صياغة سيناريوهات معقولة لنظهر كيف يمكن أن تحصل هذه الأحداث..³⁸» كما أن للخيال فوائد متعددة أخرى حيث يمكنه « تحويل الأفكار المجردة إلى صورة حسية يسهل تعلمها، والخيال يعد وسيلة لتحسين ذاكرة المتعلم، ويساعد على ابتكار معان جديدة وتوليد نتائج إبداعية جديدة³⁹» ويمكن القول أيضا أن التنبؤات في الرواية العربية تغذي الخيال والابتكار وذلك من خلال تقديم رؤى متنوعة تكون بديلة للمستقبل، وتشجع القراء على التفكير فيما وراء الوضع الراهن، وتصور الاحتمالات، واستكشاف أفكار جديدة وإذ ذاك يقول الكاتب في نص روايته: «لم يكن المعلم العجوز يؤمن باتحاد العقل البشري والعقل الآلي، وكان ينظر إلى آلات التعليم بريبة وازدراء، وإذا به اليوم يشاهد كيف يتفاعل العقلان لاختصار المسافات الزمنية⁴⁰»، ومن خلال توسيع حدود خيالنا، يمكن لهذه التنبؤات أن تلهم الأفراد والمجتمعات، بل وحتى صناع السياسات، لإتباع أساليب مبتكرة لمعالجة التحديات الحالية بيد أن في نص "جلالته الأب الأعظم" ألمح الكاتب إلى خطورة بعض الابتكارات على البشرية إذا ما وقعت في أيدي نفوس شريرة كما في قوله: «عندما تأكدت الآلة اللعينة من نجاح مهمتها وقد صيرتنا آلات صماء عمياء، طارت عنا إلى مراكز مماثلة لا تتوقف عن تحويل الإنسان إلى حيوان.. بل الحيوان أشرف منه..⁴¹» من خلال إسقاط هذه الملاحظات في المستقبل يسلط الكاتب الضوء على بعض الابتكارات المحتملة والتي يمكن أن يكون بسببها هلاك البشرية ككل.

10.4. توقع التحديات:

يمكن لتنبؤات الرواية العربية أن تساعدنا على توقع التحديات المستقبلية والاستعداد لها، وذلك عن طريق استكشاف أحداث افتراضية يمكن وقوعها مستقبلا، «لا نحتاج إلى معرفة معمقة للتاريخ لنذكر أن أحداثا رهيبه فعلا قد حدثت في الماضي، لهذا علينا أن نفترض أن المزيد من الرعب سيحدث في المستقبل إذا لم نطور وسائل لتجنب ذلك⁴²» إذ يحاول الروائي في نصه أن يلفت انتباهنا إلى التحديات والعواقب المحتملة التي قد تنشأ عن الظروف الحالية، حيث يمكن لهذه الصور أن تلهم الناس لاتخاذ تدابير استباقية، و مناقشات سياسية، واستجابات مجتمعية تهدف إلى تخفيف النتائج السلبية المحتملة أو احتضان التطورات الإيجابية، حيث يأخذنا نص "جلالته الأب الأعظم" إلى توقع تأسيس الدولة العالمية التي تم الإعداد لها العدة اللازمة لقيامها ومن بين ذلك الإعداد العسكري الملفت لحمايتها، حيث يقول على لسان الرجل المعجزة: «سيشكلون الترسانة الوقائية لنا عبر السنين، وقد عهدنا إلى مراكز الأمم المتحدة التي بدأنا تأسيسها في كل مكان لانتقاء الصبية المؤهلين، وعزلهم عن المحيط، لنجعل منهم الرجال المخلوقين للحرب⁴³»، ومن خلال هذا الافتراض يمكن للقارئ أن يستلهم الحلول الناجعة لتحديات يمكن أن تقع في قادم الأيام.

11.4 استشراف التحول الثقافي و أثره على الهوية:

تقوم الهوية على نسيج معقد يجمع بين عقيدة وقيم شعب ما وذاكرته التاريخية للمكان الذي يعيش فيه، ولذا «سوف تعاني الهويات من العولمة على مقدار بعدها عن الأسس التي تقوم عليها ثقافة الغرب وقيمته وتطلعاته، حيث إن على المسلمين مثلا كما يرغب المروجون للعولمة أن يتنازلوا عن خصوصياتهم الثقافية من أجل الاقتراب من المفاهيم والمعايير الكونية التي تنشرها العولمة، وإلا فسوف يبنذون ويهمشون⁴⁴» هذا وتقدم التنبؤات في الرواية العربية نظرة ثاقبة لتطور الأعراف والتقاليد والهويات الثقافية، وذلك من خلال توقع التحولات الثقافية في المستقبل، حيث يستكشف المؤلف في نص "جلالته الأب الأعظم" العواقب

المحتملة للتغيرات الاجتماعية، إذ يوفر بتوقعاته هذه منصة للتفكير للحفاظ على التراث الثقافي، والاحتراز من تأثير العولمة، والتفاعل بين التقاليد والحداثة، إذ ينادي الرجل المعجزة: « تعالوا نخطم القيود المفروضة علينا باسم الإيديولوجيات، باسم الديانات، والجنسيات ... تعالوا نقلب كراسي الحكم في كل مكان و نكسر أعوادها حكاما ومحكومين، ثم نخرقها في النار المقدسة التي ستظهر في كل مكان، لتلتهم ركام الحضارات والثقافات والافتراءات .. نخرق كتبنا كلها.. نخرق عاداتنا كلها..⁴⁵ » ، تعزز هذه التوقعات المحتملة المناقشات حول الهوية الثقافية والطرق التي تتشكل بها من خلال الموروثات التاريخية و المسارات المستقبلية، حيث يلمح الروائي إلى ضرورة صوغها والذود عنها من معاول الهدم و التدليس.

5. خاتمة:

إن إدراج الاستشراف في الرواية العربية الحديثة يعكس الطبيعة المتطورة للأدب، حيث يتعامل المؤلفون مع الحاضر بينما يفكرون في المستقبل، فعن طريق تناول مجموعة واسعة من المواضيع واستخدام تقنيات سردية مختلفة، تقدم هذه الروايات للقراء منظورا متعدد الأبعاد حول النسيج المعقد للمجتمعات العربية والتحديات التي تواجهها.

ومن خلال تبنيها الاستشراف استطاعت الرواية الجزائرية الحديثة مثل نظيراتها في الوطن العربي، أن تلهم الفكر وتثير حوارات ورؤى جديدة لم تطرق من قبل إلا قليلا، أضف إلى ذلك فقد أسهم " الحبيب مونسي" في نص روايته "جلالته الأب الأعظم" في إثارة الحوار المستمر حول المسار المستقبلي كما ألهم القراء كغيره - ممن خاض هذا النوع من الكتابة - لتصور مستقبل أفضل يكون أكثر استنارة وعمقا ، حيث أن هذه الرواية لتستدعي القراءة والتأمل والوقوف عند كل سطر من سطورها، ففي ذلك لذة لا تعدلها لذة ومتاع ليس يشبهه متاع.

ونخلص في الأخير إلى القول أن الاستشراف في الرواية العربية الحديثة - وإن كنا أعرضنا عن أشياء كثيرة ولم نلم منه إلا القليل - لا يثري المشهد الأدبي والثقافي فحسب، بل يشجع القراء أيضا على التفكير النقدي والتفاعل مع العالم من حولهم واستلهم الحلول الممكنة لتحديات يمكن أن تقع مستقبلا، وإنها لشهادة على قدرة الأدب على تجاوز الحدود، وإثارة التأمل، وتعزيز فهم أعمق لتجربتنا الإنسانية المشتركة.

6. قائمة المصادر والمراجع:

1.6 المراجع

- 1- الحبيب مونسي، جلالته الأب الأعظم. الخطر الآتي من المستقبل . ، دار ميم، ط2، الجزائر، 2014.
- 2- ابن منظور، لسان العرب، صادر، ط1، بيروت. لبنان، 1300 هـ .
- 3- الخليل الفراهيدي، كتاب العين تح: مهدي المخزومي. ابراهيم السامرائي، ج 6، مطابع الرسالة، الكويت، 1980 .
- 4- عبد الرحمان العكيمي، الاستشراف في النص، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت. لبنان، ط1 ، 2010.
- 5- عواطف عبد الرحمان، الدراسات المستقبلية : الإشكالات و الأفاق، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت، ع4 ، 1988.
- 6- مرشد أحمد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، دار الفارس للنشر و التوزيع، ط1، الأردن، 2005.
- 7- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت. لبنان.
- 8- أحمد الشنتاوي، التنبؤ بالغيب قديما و حديثا، إقرأ دار المعارف، مصر، 1959.
- 9- هيثم الحاج علي الزمن النوعي و إشكاليات النوع السرد، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، 2008.
- 10- سيزا قاسم، بناء الرواية. دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ . ، مكتبة الأسرة، مصر، 2004.

- 11- إدوارد كورنيش، الاستشراف . مناهج استكشاف المستقبل، تر: حسن الشريف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، لبنان ، 2007.
- 12- علي عبد المعطي محمد، أعلام الفلسفة الحديثة، دار المعرفة الجامعية ، ج2 ، مصر، 1997.
- 13- فايد محمد، تجربة الخيال العلمي في الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية قراءة في نص (جلالته الأب الأعظم) للروائي الحبيب مونسي، مجلة آداب، جامعة ذي قار ، العراق، ع 25 القسم الأول ، 2018.
- 14- دلال ملحق استيتية، التغير الاجتماعي والثقافي ، دار وائل، عمان . الأردن، ط3، 2010 .
- 15- زهير سعد عباس . سويم العزي، ظاهرة العولمة و تأثيراتها في الثقافة العربية، مركز الكتاب الأكاديمي، ط1، عمان . الأردن، 2015.
- 16- العبد سعاد، قصص الخيال العلمي كمدخل للتدريس، مجلة التربية ، ع 4، 2013.

7. قائمة الإحالات:

1. ابن منظور، لسان العرب، ج 9، صادر، بيروت . لبنان، ط1، 1300هـ، ص 170.
2. المصدر نفسه ص 171
3. المصدر نفسه ص 171
4. الخليل الفراهيدي، كتاب العين تح مهدي المخزومي . ابراهيم السامرائي، ج 6، مطابع الرسالة، ط1، الكويت، 1980، ص 252.
5. عبد الرحمان العكيمي، الاستشراف في النص، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت . لبنان، ط1 ، 2010، ص 17.18.
6. عواطف عبدالرحمان، الدراسات المستقبلية : الاشكالات و الأفاق، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت، ع4 ، 1988، ص 14.
7. مرشد أحمد، البنية والدلالة في رواية إبراهيم نصر الله، دار الفرس للنشر و التوزيع، ط1، الأردن، 2005، ص 267.
8. ابن منظور، لسان العرب ، مج 1 ، ص 162.
9. الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ص 481
10. أحمد الشنتناوي ، التنبؤ بالغيب قديما و حديثا، إقرأ دار المعارف، مصر، 1959، ص 05
11. هيثم الحاج علي الزمن النوعي و إشكاليات النوع السرد، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، 2008، ص 26
12. سيزا قاسم، بناء الرواية . دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ . ، ص 26.
13. دلال ملحق استيتية، التغير الاجتماعي والثقافي ، دار وائل، عمان . الأردن، ط3، 2010 ، ص 24
14. الحبيب مونسي ،جلالته الاب الأعظم . الخطر الأتي من المستقبل . ، دار ميم ، ط2، 2014، الجزائر، ص 44
15. إدوارد كورنيش، الاستشراف . مناهج استكشاف المستقبل، تر: حسن الشريف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، لبنان ، 2007، ص 48.
16. الحبيب مونسي ،جلالته الاب الأعظم ، ص 155
17. المصدر نفسه، ص 81
18. علي عبد المعطي محمد، أعلام الفلسفة الحديثة، دار المعرفة الجامعية، ج2، مصر، 1997، ص 215 .
19. الحبيب مونسي، جلالته الأب الأعظم، ص 50.
20. المصدر نفسه، ص 49.
21. فايد محمد، تجربة الخيال العلمي في الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية قراءة في نص (جلالته الأب الأعظم) للروائي الحبيب مونسي، مجلة آداب، جامعة ذي قار ، العراق، ع 25 القسم الأول ، 2018، ص 344.
22. المرجع نفسه ، ص 344
23. الحبيب مونسي، جلالته الأب الأعظم، ص 99.
24. المصدر نفسه، ص 206.
25. دلال ملحق استيتية، التغير الاجتماعي والثقافي ، دار وائل، عمان . الأردن، ط3، 2010، ص 75.76.
26. الحبيب مونسي، جلالته الأب الأعظم ، ص 11.
27. إدوارد كورنيش، الاستشراف . مناهج استكشاف المستقبل . ، ص 208
28. الحبيب مونسي، جلالته الأب الأعظم، ص 279.
29. المصدر نفسه: ص 157.

- ³⁰. المصدر نفسه، ص 158.
- ³¹. المصدر نفسه، ص 74.
- ³². المصدر نفسه، ص 77.
- ³³. المصدر نفسه، ص 59.
- ³⁴. زهير سعد عباس. سويم العزي، ظاهرة العولمة و تأثيراتها في الثقافة العربية، مركز الكتاب الأكاديمي، ط 1، عمان. الأردن، 2015، ص 67.
- ³⁵. الحبيب مونسي، جلالته الأب الأعظم، ص 70.
- ³⁶. المصدر نفسه، ص 168.
- ³⁷. المصدر نفسه، ص 172.
- ³⁸. إدوارد كورنيش، الاستشراف. مناهج استكشاف المستقبل، ص 154.
- ³⁹. العبد سعاد، قصص الخيال العلمي كمدخل للتدريس، مجلة التربية، ع 4، 2013، ص 47.
- ⁴⁰. الحبيب مونسي، جلالته الأب الأعظم، ص 108.
- ⁴¹. المصدر نفسه، ص 167.
- ⁴². إدوارد كورنيش، الاستشراف. مناهج استكشاف المستقبل، ص 210.
- ⁴³. الحبيب مونسي جلالته الأب الأعظم، ص 59.
- ⁴⁴. زهير سعد عباس. سويم العزي، ظاهرة العولمة و تأثيراتها في الثقافة العربية، ص 69.
- ⁴⁵. الحبيب مونسي، جلالته الأب الأعظم، ص 43.